الصراع بين المستكبرين والمستضعفين في المنظومة الإسلامية

المدرس الدكتور
جبار عطيه بخاخ منصوري
bdaljbaralmnswry@gmail.com
جامعة البصرة ـ كلية الإدارة والاقتصاد القرنة ـ قسم إدارة المشاريع

The conflict between the arrogant and the oppressed in the Islamic system

Lecturer Dr.
Jabbar Attia Bakhakh
University of Basra - College of Administration and Economics ,
Qurna - Department of Project Management

الملخص:-

إن التاريخ البشري وفق منظومتنا الإسلامية هو تعبير عن الصراع بين الحق والباطل أو بين المستكبرين والمستضعفين أو بين أنصار الله وأنصار الطاغوت أو منهج الإسلام لله أو منهج الكفر بالله .وعلى هذا الأساس فإن حركة المستضعفين القائمة على الإيمان بالله والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله. ضد المستكبرين والظالمين كان ولايزال مستمر في كل العصور، وان كان يختلف من ناحية الطرق والوسائل الزمانية والمكانية، فربما كان هذا الصراع في الأزمنة السابقة عسكري فقط، أما في زماننا فقد توسع الصراع بين المستكبرين والمستضعفين في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتكمن قوة وخطورة الاستكبار في زماننا بالحرب الثقافية أو بالمصطلح الجديد الحرب الناعمة وقد اتخذت عدة محاور، ركز الأول فيها على فصل الدين الإسلامي عن السياسة، فيما ذهب المحور الثاني إلى السعي لمحاربة المرجعية الدينية وولاية الفقيه والحكومة الدينية، فيما يركز المحور الثالث إلى المحاولات الحثيثة لزرع بذور التفرقة المذهبية والعقائدية والقومية بين الأمة الإسلامية الواحدة.

الكلمات المفتاحية: المنظومة الإسلامية، المستكبرين، المستضعفين، الحرب الثقافية، الحرب الناعمة، الحق والباطل.

Abstract:-

Human history, according to our Islamic system, is an expression of the struggle between truth and falsehood, or between the arrogant and the oppressed, or between the supporters of God and the supporters of the tyrant, or the approach of Islam to God, or the approach of disbelief in God.

On this basis, the movement of the oppressed is based on faith in God, good deeds, and jihad for the sake of God.

Against the arrogant and the oppressors, it has been and continues to continue in all ages, although it differs in terms of methods and means, temporal and spatial.

Perhaps this conflict in previous times was only military, but in our time the conflict between the arrogant and the oppressed has expanded in all political, economic, social and cultural aspects, and its strength and danger lie.

Arrogance in our time is the cultural war, or in the new term, the soft war.

It has taken several axes, the first of which focused on separating the Islamic religion from politics, while the second axis sought to fight the religious authority, the guardianship of the jurist, and the religious government, while the third axis focuses on persistent attempts to sow the seeds of sectarian division. Ideology and nationalism among the one Islamic nation.

Key words: the Islamic system , the arrogant , the oppressed , the cultural war , the soft war , right and wrong.

المقدمة:ـ

يشهد زماننا المعاصر وخاصة في السنوات الاخيرة ان الكفار وخصوصاً الغرب الكافر وبالأخص اميركا واسرائيل قد جمعوا كل ما يستطيعون من كل النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية لتعريض اسس الإسلام و بيضته لخطر الزوال و كذلك على كل المستضعفين في الارض. من خلال شن الهجمات على البلدان الإسلامية والمستضعفين. وان يتسلطوا عليهم ومصادرة الحريات و تعريض دمائهم للهدر واعراضهم للهتك وأموالهم للنهب مما دفع المستضعفون في العالم بصورة عامة و المسلمون بصورة خاصة ومحور المقاومة بصورة اخص إلى الجاهد والمقاومة لدفع المستكبرين والظلمة والكفار لصيانة دينهم وانفسهم وبلادهم من المستكبرين.

تعتبر حركة المستضعفين أو المظلومين حركة دائمة ومستمرة افرزتها ظروف إجتماعية وتعقيدات دينية وسياسية، وحركة المستضعفين استطاعت تحقيق تطلعاتها وأهدافها وأن تتوافق مع طبيعة الإنسان ودوافعه الذاتية لأنها نابعة من صلب حاجاته الحياتية والنفسية والاجتماعية وقد كونت له الدافع الأقوى لتقدمه ونشاطه في الحياة في عدة جوانب الثابتة والمتغيرة.

الجانب الأول: وهو الثابت الجامع لقوانين الحياة وأصول حفظها مع مراعاة الضرورات النفسية والروحية للإنسان بالإضافة إلى الضرورات المعيشية

الجانب الثاني: وهو الجانب المتطور الحاوي لكل المتغيرات في الحياة والذي يتعلق بنوعية الوسائل المستخدمة لتحقيق الضرورات الحياتية من جهة علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان وعلاقته مع الكون.

والطبيعة ويؤدي ذلك إلى توزيع الأدوار والمهمات على أفراد المجتمع واستحداث أسس تنظيمية تتوافق مع تطور المجتمعات. أن حركة المستضعفين أو المحرومين هي بالحقيقة تنطلق من احساس الإنسان بجوعه الفطري للتكامل والذي يعتبر العامل المهم لحصول الإنسان على الطاقة الثورية الفاعلة المحققة لطموحاته الحياتية والإنسانية ليتخلص من كل المعوقات التي تواجهه. وبالتالي يكون الطريق مفتوح أمام الكفاءات والمواهب والتخطيط

لمستقبل أفضل مستندة إلى الدافع الذاتي التي يحصل عليه من الإيمان العقائدي المنبثق من حكم العقل وهدى الشرع وانطلاقة الروح ومشاعر القلوب.

وتوضيحاً للفكرة لاغنى لنا من أن نحدد أهم الأهداف التي يسعى إليها الإنسان من خلال تحقيقه لذاته في الحياة إذ إن كل إنسان يفتش عن السعادة وغاية الأنظمة الاجتماعية تأمين سعادته، إلا أن إتحاد الغاية عند هذه الأنظمة لايعني التوافق في الاساليب والتشريعات والقيم والأهداف القريبة والبعيدة كافة، ولعل العائق الأول أمام الإنسان في مسيرته التأريخية هو الأستضعاف الذي مُورس على البشرية من قبل الأقوياء والمستكبرين، لذلك فقد انقسمت المجتمعات في الأعم الأغلب إلى فئتين: فئة المستكبرين، وفئة المستضعفين ولقد عمد المستكبرون لإستخدام قوتهم الفكرية والمادية ونفوذهم الإجتماعي من أجل استضعاف جماهير الناس واستغلالهم ومن هنا فإن النظرة القرآنية تختلف عن النظرة المادية، وذلك لاعتمادها التقسيم الطائفي للمجتمع. المستضعفون الأغلبية الساحقة من أبناء المجتمع، الذين يلاقون جميع صنوف القهر والعذاب من قبل المستكبرين من الحكام، واتباع السلطة الظالمة، وهذا ما ادى إلى حرمانهم من حقوقهم الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية وجعلهم مستغلين محرومين مظلومين، والاستضعاف قد يكون فردي واجتماعي أو دولي.

المطلب الأول: المستضعفين والمحرومين ودورهما في المجتمع.

لانقصد بالمستضعفين والمحرومين هنا من الناحية المادية فقط، بل إن الحرمان يتعدى إلى مختلف الجوانب الفكرية والتشريعية والتنظيمية والحياتية والاجتماعية والاقتصادية، فالذي يُمنع من ممارسة حقه في اعتناق المبدأ الصحيح، نتيجة فرض أيديولوجية وضعية من قبل الأنظمة الظالمة هو محروم ومستضعف. وكذلك الذي يُمنع من المشاركة في السلطة والحكم وتسيير الأمور للمجتمع نتيجة تسلط فئة أو طبقة أو نظام معين، وكذلك الذي لا يستطيع الوصول إلى حياة كريمة، عن طريق استئثار طبقة أو مجموعة من الأشخاص بأموال الشعب هو محروم ومستضعف ومظلوم. والذي يُحاط.

بالعيون والجواسيس الذين يحبسون عليه أنفاسه والذي توضع في وجهه العراقيل لمنعه من العمل الشريف وتعليم أطفاله هو محروم ومستضعف أيضاً ولذلك من الخطأ الفادح حصر معنى الاستضعاف والحرمان في الشؤون المادية. من هنا فأننا نعتبر أن جميع الحركات

ذات الصبغة الشعبية هي حركات مستضعفين تعمل بشكل من الأشكال، من أجل رفع الاستضعاف عن المستضعفين، ولكن الأمر الذي يجب التركيز عليه هو الأسلوب والطريقة والقيم والأهداف لأن اشتراك هذه الحركات في الهدف العام لا يعني بحال أنها ستتمكن جميعها من تحقيق هذا الهدف، والنتيجة المهمة التي يمكن الوصول إليها إن حركات المستضعفين النموذجية تمثلت بشكل فعلي في حركات الأنبياء خلال التأريخ[1].

المطلب الثاني: الفقر والحرمان دافع أساسي لثورات المستضعفين.

إن الفقر والظلم والحرمان الفردي والاجتماعي هو الدافع الرئيسي لتغيير الواقع الإجتماعي والسعي للحصول على المستقبل الأفضل، فمن حرم من شيء فإنه سيسعى للحصول عليه فالمحروم من المبدأ الحق يشعر بعطشه للحق والكمال فيعمد لمحاكمة الأفكار التي تلقاها من غيره ومن مجتمعه فيحاول البحث عن القاعدة الفكرية والمبادئ والمفاهيم التي ترضي عقله بحيث تتحول إلى قناعات لديه والمحروم حرماناً مادياً يعمل لرفع هذا الحرمان وتحسين أوضاعه المعيشية من خلال الطرق المشروعة. أو بالطرق غير المشروعة في تكديس الثروات كالسرقة والرشوة وغيرها من الأساليب. والذي يعيش في مجتمع يهيمن عليه تسلط فئة ظالمة أو جهة مستكبرة أو دول مستكبرة يشعر بضرورة الثورة على هذا النظام الفاسد ليقوم بدوره الاجتماعي والسياسي. لذا تجد المستضعفين دائما متعاونين على المستوى الفردي والاجتماعي والدولي ضد المستكبرين للحصول على حقوقهم أما عن طريق الثورة أو الطرق السلمية أو المقاومة أو العمل السياسي والتأثير على الشعب بالخطابة أو الكتابة والثقافة.

وتأييداً من القرآن الكريم لهذه الحقوق قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

المطلب الثالث: الامتداد التأريخي للصراع بين المستكبرين والمستضعفين.

إن هذه الصراع ذات الامتداد التأريخي الذي يعود إلى فجر الحياة البشرية والذي أتخذ اشكالاً متعددة خلال عملية التطور الإنساني وخاضت صراعات متنوعة مع القوى

المستكبرة والذي تمثل بالأنظمة الظالمة والدول المستكبرة، فقد عبّر المستضعفون عن ضمير الشعوب المقهورة في الانتفاضات وثورات الأنبياء عليهم السلام ونشاطات المبلغين الميامين وأولياء الله المكرمين. والباحث في السيّر التأريخية للشعوب المستضعفة والفئات المسحوقة من العبيد والفقراء والمؤمنين الرساليين يرى بوضوح أن حركات المستضعفين والمحرومين كانت سفينة نجاتهم من بحر الجهل والمرض والشقاء الذي فرض عليهم إلى شاطىء الأمان حيث العلم والنور والسعادة. وحركة المستضعفين التأريخية الفردية والإجتماعية والدولية هي ترجمة عملية للطموح الإنساني العام، فهي بصورة مباشرة تنير طريق المستضعفين، وبطريقة غير مباشرة تساعد وتخدم كافة فئات الناس، حتى المستكبرين منهم إذ تنقذهم من استكبارهم عند توفر الأسباب وتلغي سيطرتهم وامتيازهم على غيرهم بدون حق[٣].

وتعيد هؤلاء الذين مسخت إنسانيتهم إلى حقيقتهم وتعرفهم على مركزهم الواقعي في الحياة وتدلهم على الغاية وجودهم. أن الإنسان المستكبر والجماعة المستكبرة والدولة المستكبرة بصورة عامة يشعرون في اعماقهم بقلق عظيم يقض مضجعهم، لأنهم غير مقتنعين بسيرتهم وقناعاتهم وأن لم يظهروا هذا الأمر ولا يخرج من هذه الحقيقة إلا من خرج من إنسانيته وفطرته وحقيقته. لذلك فإن الإنسان بصورة عامة يجد أن رجع إلى عقله واحتكم إلى المنطق أن أهداف حركة المستضعفين حقة وتهدف إلى سعادة.

الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن هذا المنطلق كانت عملية التصدي للحرمان والاستضعاف نتاجاً لمفاهيم العدالة والمساواة التي تعيشها في النفوس، والتصدي له أشكال منها الإيجابي ومنها السلبي: أما الأول الإيجابي ويتمثل في الثورة التي يقودها جمهور الناس لتحقيق أهداف رسالة المستضعفين في الأرض. والثاني السلبي ويكون بعدم الركون إلى الظالمين وعدم اعانتهم على ظلمهم[٤].

واستكبارهم كمقدمة للوقوف في وجه مخططاتهم ضد الناس المستضعفين. أن هذا التصدي يهدف إلى إزالة العوائق أمام التطور البشري ويخلق المناخ المناسب للتقدم إذ يمنع تجميد المواهب بالوقوف بوجه العوامل المؤدية إلى تجميدها كالانظمة الفاسدة والحكام المستكبرين والعادات السيئة والثقافات المريضة والقوى الضالة أو الكافرة الخارجية كالاستعمار المستكبر والداخلية كعملاء الاستكبار على الصعيد الفكري والسياسي. كما انه

بواسطة التصدي الواعي نمنع إمكانية تهديد القوى الشريرة لمستقبل الإنسانية في كافة المجالات والحالات. وهذا الصراع بين المستكبرين والمستضعفين في حقيقته هو جزء من الحركة التغييرية العامة للإنسان في التاريخ، ومعلوم أن هذه الحركة قد لوحظت من جهتين: المادية والايمانية. فالرؤية المادية تعتقد بأن الإنسان محكوم في حركته التأريخية للحاجات المادية، بالتالي يخوض هذا الصراع من أجل المادة وفي سبيلها. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الإعتقاد بأشكال مختلفة، وأطلق عليه صفة الشيطانية وهي ترى قيمة الإنسان ومركزه في الحياة والوجود ينبع من المادة والعنصر، وهذا المبدأ هو الذي يحرّك زعيم العنصرية في الوجود المخلوق الشرير إبليس وقد صوّر القرآن الكريم هذا الأمر قال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٥].

وأكبر دليل على فشل وخطأ النظرية المادية هو عدم قدرتها في الإتحاد السوفيتي سابقا وأوروبا الشرقية وكذلك فشل علمانية الغرب ورأسماليته وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية من أن تصنع شيئا مهما للإنسانية على مستوى بناء الإنسان والحضارة الإنسانية التي تحفظ وجوده وحريته وكرامته الإنسانية مع ما توفر لها من قدرات وامكانيات وسلطة، وقد كان السقوط الأكبر للمادية بسقوط ركائز الاتحاد السوفياتي وتفككه وانهيار ركائز الشيوعية والاشتراكية كمذهب مادي في العالم[٦].

التغيير هو محور أهداف الأنبياء عليهم السلام .

إن مراحل التغيير والتطور الإنساني التأريخي قد أعتمد بالدرجة الأولى على الفطرة الإنسانية منطلقاً من حركة الأنبياء التي كانت تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات المادية والمعنوية والحياتية والاجتماعية إلى النور، نور العدل والحرية والمحبة والمساواة والوعي والعيش الكريم في ظل مبادئ الرسالات السماوية والقيم الإلهية، كما قال تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٧].

ومن أهم الأهداف لحركة الأنبياء وبعثتهم هو المساواة بين الجانب المادي والروحي للمؤمنين على جميع المستويات الفردية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية، وهذا واضح في التعاليم الالهية وفي سير الأنبياء عليهم السلام قال تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ

الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٨).

والأنبياء لم يعمدوا إلى هدم المادية المتطورة حيث وجدت، ولم يأمروا بالابتعاد عنها بل سعوا إلى إقامة حالة توازن بين الجوانب المادية من جهة والجوانب المعنوية من جهة أخرى. والملاحظ أن هذه القاعدة تبدو مطّردة بالنسبة للمجتمعات التي مرت خلال التأريخ والأمثلة من خلال القرآن الكريم كثيرة منها:

١- قوم عاد وثمود، الذين كانوا متقدمين مادياً. فشيدوا مدينة إرم ذات العماد، وقطعوا الصخور بالواد. وقال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾(٩).

٢- وبخصوص المجتمعات المتخلفة مادياً البدوية كمجتمع النبي شعيب عليه السلام فقد كانت المهمة هي النهوض بهذا المجتمع ماديا ومعنويا.

٣- أما مجتمع السيد المسيح عليه السلام فهو المجتمع الراقي مادياً آنذاك كالحضارة الرومانية لذلك فإن المسيح عليه السلام عمل على أن يروّح هذه الحضارة، ويكملها بالجانب المعنوي الإيماني.

٤- أما بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه جاء ليصنع مجتمعاً إنسانياً متحضراً، قائماً على أساس القيم الإنسانية الراقية والمتقدمة مادياً وروحياً. قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١٠).

ومن الواضح أن حركات الأنبياء اتصفت بالاستمرارية والشمول لذلك فإن أنصار هذه الرسالات، كانوا يقومون بواجب العمل المستمر الدائب لتحقيق أهداف هذه الرسالات من خلال الاقتداء بالرسل والأنبياء، وهؤلاء هم الذين يسيمهم القرآن التابعين بالإيمان يقول سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(١١).

إن اتباع سبيل الأنبياء والعمل المخلص بتعاليمهم من شأنه أن يرفع من شأن هؤلاء

ويجعلهم في الدرجة الأعلى التي هي درجة الاصطفاء من قبل الله سبحانه. قال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[١٢] وإذا كانت درجة الشهادة هي من الدرجات الرفيعة فإن هذه الدرجة لا تمنح إلا لمن يستحقها ممن صفت نفوسهم من سليمي القلوب الذين جاهدوا أنفسهم بالجهاد الأكبر حتى غدوا من المستحقين لوسام الشهادة المقدس. قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١٣].

فمن سعى لبلوغ الدرجات العالية وعلم الله سبحانه أنه أصبح لائقاً بأن يُختار لدرجة الشهادة اتخذه الله تعالى شهيداً وجعله سعيداً قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١٤].

وهنا قد يرد اشكال مفاده ان الشهداء في هذه الآيات لا تدل على القتل في ساحات الجهاد بل بمعنى الشهادة على الاعمال. و في مقام الإجابة نقول: ان للشهادة مصاديق متعددة و نحن نسلم ان اعلاها مصداق الشهادة على الاعمال. و لكن نستطيع القول ان من المصاديق الأخرى للشهادة هو القتل في سبيل الله في ساحات القتال. كذله مصداق الشهادة على الاعمل لا يتناسب مع الفهم العرفي للايات القرآنية ونحن مطالبين بالتدبر و التفكر في الايات القرآنية فالشهادة على الاعمال تناسب الفهم العرفاني و الفلسفي في الحمة المتعالية للايات القرآنية و هي خارج محل البحث.

وهذا كله يعني أنه لابد من تحمل المسؤولية الاستثنائية، للسير قدماً في تحقيق مناهج الأنبياء وأتباعهم بإحسان وإلا فُقدت الميزة والخصوصية الرسالية من الحركة التغييرية للمجتمعات والتأريخ التي قادها الرسل و الانبياء وذلك لبلوغ الهدف المتوخى وهو تحقيق السعادتين الدنيوية والاخروية.

المطلب الرابع: المستضعفون في القرآن الكريم والسنة النبوية.

جاء في الرواية عن النبي ﷺ. عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة القلوب(وهم ضعاف الإيمان الذين كان النبي ﷺ يتألف قلوبهم) إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وذووهم، فقالوا يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحّيت

عنا، وأرواح جبابهم يعنون سلمان، وأبا ذر وفقراء المسلمين وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك واخذنا عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[١٥].

وتقول الرواية حتى بلغ قول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾. ((يهددهم بالنار فقام النبي ﷺ يلتمسهم، (اي المستضعفين) حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: ((الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجالٍ من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات)). وعن إبن عباس: نزلت في بني أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تطرُّد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى(واتبع هواه) يعني الشرك)). والمقصود بهؤلاء أهل الاستكبار الذين لا يقبلون، بسبب استكبارهم إلا بطرد المستضعفين من مجالسهم وعدم احترامهم وأبعادهم عن مجالس الكبراء كما يعتقدون))، وهذا يناقض تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ[١٦].

المطلب الخامس: الانبياء هم قادة ثورات المستضعفين.

المؤمنون بصورة عامة والمستضعفون بصورة عامة إذا كانوا من الموحدين وعملهم قائم على الإيمان بالله والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله المستمدة من التعاليم الدينية للانبياء عليهم السلام، وبما أن جميع الأديان السماوية تدعو إلى إزالة الظلم والدفاع عن حقوق جميع المسلمين والمؤمنين وخاصة المستضعفين منهم، لذلك فإن حركات الأنبياء من نوح عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ كلها كانت في جوهرها حركات مستضعفين وقد نال قادتها بسبب جهادهم أنواع العذاب والقتل وقد عبر عن ذلك الرسول ﷺ عندما قال (ما اؤذي نبي مثل ما اؤذيت)[١٧].

فعلى أكتاف أنصار الله من المجاهدين رفعت رايات المعذبين والمظلومين لتنشر الهدى والنور في بقاع الأرض بعد أن صبغت بدماء الشهداء الأبرار الذين اتخذهم الله شهداء والذين سقوا جذور هذه الحركة المقدسة بدمائهم، فأثمرت شجرتها عدلاً وسلاماً ورحمة. إن

كل هذا يشكل السند المتين لحركة الأنبياء والايمان والجهاد في كل زمان ومكان، لأنه ينير أمام هذه الحركة التغييرية، الطريق المظلم فيمدهم بأسباب الصمود والصبر والاستمرار فالتأريخ الديني للأنبياء يزودهم بالتجربة الرائدة، وكذلك المواكبة العالمية لحركة المستضعفين تؤكد الشمولية، والتجارب المعاشة تؤكد وتكشف عن الديمومة والاستمرارية في الدافع. وفي كل هذا ضمانة أكيدة للنجاح في تحقيق الأهداف الإنسانية للرسالة الإلهية، إذ أنه لاشك ولاريب أن نصر الله للمجاهدين والمؤمنين يتوقف على نصرهم وانتصارهم له، ولشريعته وكتابه وسنة نبيه ورسالات انبيائه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١٨].

المطلب السادس: المباني الفقهية لثورات المستضعفين.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[١٩] هناك نظريات كثيرة لحركة المستضعفين وثوراتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ولكن أبرزها وأهمها نظريتان وهما: التعايش السلمي مع الظالمين والمستكبرين. والنظرية الثانية: الثورة ومقاومة المستكبرين والظالمين.

أولاً: التعايش السلمي مع الظالمين والمستكبرين. وهي تعتبر نظرية قديمة منذ العهد الأموي مرورا بحادثة كربلاء والحرة إلى الآن. وهذا المذهب الفقهي ذو الطابع الحكومي في التأريخ الإسلامي. وبناءً على هذه النظرية يجب طاعة الحكام والانقياد لهم ويحرم الخروج عليهم مهما بلغ الأمر منهم في اقتراف المعاصي وارتكاب الجرائم والإعلان في انتهاك المحرمات الإلهية، ما لم يعلن الحاكم الكفر اعلاناً، وهو لا يتفق الا نادرا في الحكام الظلمة، ومالم يأمر بمعصية.

ثانياً: مقاومة الظالم. وهي النظرية الفقهية الثانية التي كان يتبناها اهل البيت عليهم السلام وبعض المدارس الفقهية من فقه أهل السنة، مثل المذهب الحنفي. فقد كان أمام المذهب النعمان أبو حنيفة يدعو إلى زيد بن علي عليه السلام ويتبنى خروجه ودعوته. وإلى هذا المذهب ذهب الصحابة والتابعون من أبناء الصحابة، وغيرهم الذين أعلنوا الخروج على يزيد بن معاوية في المدينة[٢٠].

ثالثاً: وجوب جهاد الطاغوت في القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٢١].

والطاغوت كما جاء في بعض التفاسير يعني الكاهن[٢٢]، وأخرج الثعلبي وأبن ابي حاتم عن إبن عباس، أن الطاغوت هو كعب بن أشرف. هذه بعض مصاديق الطاغوت، وايضا يقول الالوسي في هذا المجال.. أن الطاغوت هو بمعنى الطغيان على الله ورسوله حيث يقول (واطلاقه على كعب بن أشرف بمعنى كثير الطغيان)[٢٣] ويقول السيوطي في الدر المنثور: الطاغوت هو رجل من اليهود يقال له كعب بن الاشرف وكانوا اذا ما دعوا إلى ما انزل الله والى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمهم إلى كعب فذلك قوله(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)[٢٤]. لذلك من المسلمات الدينية هو الطاغوت الفردي والاجتماعي والدولي، والكفر بالطاغوت بمعنى الرفض والانكار والجحود والتبري، وهو لا يتحقق بمجرد الإنكار والاعراض القلبي، وإنما بالمجابهة ومواجهة الطاغوت، وفي قبالها توجد جهة تعبد الطاغوت وعبادته عبارة طاعته والانقياد إليه، فقد ورد في مقبولة عمر بن حنظلة قال ((سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، ايحل ذلك؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل، فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له، فإنما يأخذ سحتاً، وأن كان حقاً ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما امر الله إن يكفر به))[٢٥] أما الزمخشري يقول في تفسير هذه الآية ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[٢٦]. اركنه إذا اماله، والنهي يتناول الانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهوتهم، وذكرهم فيما فيه تعظيم لهم)[٢٧] أما القرطبي فيقول في تفسير(الذين ظلموا) أهل الشرك، وقيل فيهم العصاة أيضا، وأن الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم[٢٨].

أما إبن كثير في تفسير قوله ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اي لا تداهنوا ولا ترضوا

بأعمالهم، ولا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[٢٩].

ثم فسر السيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن هذه الآية ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا، إلى الجبارين الطغاة، الظالمين أصحاب القوة في الأرض الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبدونهم لغير الله من العبيد فلا تركنوا إليهم، فإن ركونكم إليهم، يعني اقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه، ومشاركتهم إثم[٣٠]، وقد ذكر هذا في نهج البلاغة حيث فيها أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال في صفين: ((أيها المؤمنين من رأى عدواناً يعمل به، ومنكرا يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرء، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب الهدى، وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين))[٣١].

النتائج:

وفق نظريتنا القرآنية إن التأريخ البشري بدأ منذ نشوء الخليقة ومع خلق الإنسان، وهو لا ينتهي بل يتجدد إلى أن يقضي الله أمرا كان مقضيا، والتأريخ البشري هو تعبير عن صراع بين المستكبرين والمستضعفين ومن يستقريء التأريخ يلاحظ ملامح هذا الصراع، فعقيدة الإيمان بالله هي ذاتها في كل رسالات السماء ودعوات الأنبياء تتسم بنفس الخصائص والمبادئ والشمولية وأن التأريخ سننه واحدة ومتصلة وهو عبارة عن صراع بين الحق والباطل تحت راية الأنبياء وتعاليم الله وهذا الصراع يتخذ منحى تصاعدي إلى أن ينتهي بأنتصار الحق على الباطل قال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣٢].

التوصيات:

اصي الباحثين في التراث الإسلامي والقراني إلى التأمل جيدا في تعاليم الإسلامي الاصيل والتي يمكن خلاصتها القول ان التكليف الشرعي للمسلمين بصورة خاصة والمستضعفين بصورة عامة إلى تطبيق هذه الآية المباركة قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣٣].

إن النظرة الواعية والتي تصاحبها البصيرة الايمانية القرآنية في هذه الأيام إلى العالم يلاحظ جيدا إن المستكبرين وخاصة في الغرب قد جمعوا حزبهم واستجلبوا جيوشهم

العسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الإسلام المحمدي الأصيل وبيضته وتعرض الإسلام حقيقة لخطر الزوال والقضاء على المحرومين والمستضعفين في العالم بصورة عامة والمسلمين بصورة خاصة. وهذا ما ادى ودفع المسلمين المستضعفين إلى الجهاد والمقاومة لدفع المستكبرين لصيانة دينهم وأنفسهم وبلادهم واعراضهم، لذلك أوصي الباحثين والكتاب إلى الدفاع عن الإسلام من خلال مصطلحات المستضعفين والجهاد والمقاومة والشهادة تعرضت للتشوية من قبل الإعلام الغربي و الصهيوني فيجب بيان المراد من هذه المفاهيم الإسلامية المقدسة وخاصة في الحرب الثقافية بين المسلمين والكفار.

هوامش البحث

(١) طه، علي حسين، حركة المستضعفين، دار الهادي للطباعة والنشر، لينان، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٣١.
(٢) الحج ٣٩، ٤٠.
(٣) شفيعي، احمد، فقه المقاومة دراسة مقارنة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، ايران طهران، ٢٠١١م، ص١٩.
(٤) الخامنئي، علي فلسطين بين الإسلام والدكتاتورية، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١١١.
(٥) الاعراف ١٢.
(٦) مصدر سابق ، ص٢٦٨.
(٧) ابراهيم ١.
(٨) القصص ٧٧.
(٩) الفجر ٦ ، ٩.
(١٠) الانبياء ١٠٧.
(١١) الطور ٢١.
(١٢) آل عمران ٣٢.
(١٣) الحديد ١٩.
(١٤) آل عمران ١٤٠.

(١٥) الكهف ٢٧، ٢٩.
(١٦) مصدر سابق، ص٢٦٩.
(١٧) الشاهرودي، علي النهازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص١٠٢.
(١٨) محمد ٧.
(١٩) النساء ٧٥.
(٢٠) الآصفي، محمد مهدي، المباني الفقهية للمقاومة، ص٦-٧.
(٢١) النساء ٦٠.
(٢٢) تفسير الطبري، ج٥، ص٩٧.
(٢٣) الالوسي، تفسير روح المعاني، ج٥، ص٦٨.
(٢٤) السيوطي، الدر المنثور، ج٢،ص١٧٩.
(٢٥) العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨، ص٩٨-٩٩.
(٢٦) هود ١١٣
(٢٧) الزمخشري، الكشاف،ص٤٣٣
(٢٨) القرطبي،ج٩،ص١٠٨
(٢٩) ابن كثير، ج٢،ص٤٦١
(٣٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١٢،ص١٤٧
(٣١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٩٢،ج١،ص٥١٧
(٣٢) المجادلة، ٢١
(٣٣) الفتح الاية ٢٩.

قائمة المصادر

١-القرآن الكريم.
٢- نهج البلاغة.
٣- الخلخالي، محمد مهدي، الحاكمية في الإسلام، ترجمة جعفر هادي، مجمع الفكر الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢،إيران، قم،١٤٢٨هجري، ص٨٦٢.
٤- الخامنئي ، علي ، فلسطين بين الإسلام و الدكتاتورية مؤسسة التراث العربي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص١١١
٤- الاصفي، محمد مهدي، المباني الفقهية للمقاومة، مطبعة أهل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، العراق، النجف، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٣.

٥- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ج٥، ص٩٧.

٦- الالوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط٢، ١٤١٥،ج٥،ص١٨

٧- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ٩١١هجري، ج٢،ص١٧٩.

٨- الحويزي، عبد علي العروسي، تفسير نور الثقلين، مؤسسة التأريخ العربي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ج٤،ص٤٨١

٩- الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢، إيران، قم، ١٤١٤هجري، ج١١،ص٩٨-٩٩

١٠- الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشاف، دار الكتب العربي، لبنان بيروت، ١٩٤٧م،ص٤٣٣

١١- القرطبي، محمد الانصاري الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٩، ص١٠٨

١٢- بن كثير، أبو فداء اسماعيل، تفسير القرآن الكريم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٦١.

٣- طه، علي حسن، حركة المستضعفين وحركة التغيير التأريخي والحضاري، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٣١.

١٣- سيد قطب، إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، دار الشروق للطباعة والنشر، ط، ١٣،٢٠١١م، ج١٢، ص١٤٧

١٤- شفيعي ، احمد ، فقه المقاومة ، دراسة مقارنة ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، ايران طهران، ٢٠١١م ، ص١٩.

١٥- صباح، محمد تقي، النظرية السياسية في القرآن الكريم، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، لبنان، بيروت، ٢٠١١م، ص٣٧٣.